فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

زكريا و يحيى

١٤

دار القلم العربي
للأطفال

فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

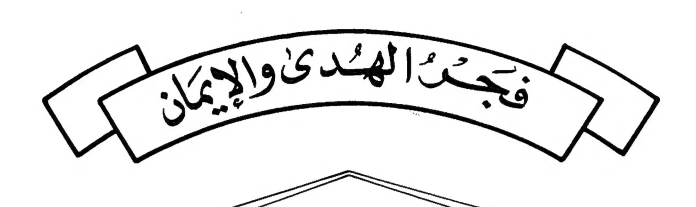
للصغار واليافعين

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُنيرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فَجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لاشريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام وإنتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمّه من رُسُلٍ وأنبياء .

قال الله تعالى: (**وَكُلاً نَقصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُسُلِ مَاثُثَبّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى للمُؤْمِنِيْن**)

الناشر

دار القلم العربي
للأطفال

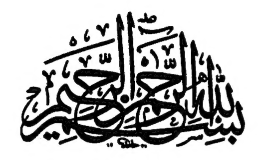








إعداد وترتيب : زهير مصطفى
مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001 م

عنوان الدار :

سورية ـ حلب ـ خلف الفندق السياحي ـ شارع هدى الشعراوي

ص.ب:78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

زكريا ويحيى

زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِيْ إِسْرَائِيْل، يَمْتَدُّ نَسَبُهُ إلى النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقَدْ قَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَل قِصَّتَهُ عَلى النَّبِيِّ ﷺ فِيْ سُوَرٍ عَدِيْدَةٍ مِنْهَا: سُوْرَةُ مَرْيَمَ وَسُوْرَةُ آل عِمْرَانَ وَغَيْرُهَا لِيَرْوِيَهَا بِدَوْرِهِ عَلى النَّاسِ لمَا فِيْهَا مِنْ عِبْرَةٍ وَعِظَةٍ للمُؤْمِنِيْنَ، فَمَا هِيَ قِصَّةُ زَكَرِيَّا مَعَ ابْنِهِ يَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟ وَمَا هِيَ العِبْرَةُ وَالعِظَةُ التِيْ أَرَادَها اللهُ عَزَّ وَجَل أَنْ يَسْمَعَهَا المُؤْمِنُونَ؟ عِلمَاً أَنَّ كُل القِصَصِ الوَارِدَةِ فِيْ القُرْآنِ الكَرِيْمِ، تُقَدِّمُ العِظَةَ وَالعِبْرَةَ، وَتُذَكِّرُ المُؤْمِنِيْنَ بِمَا حَصَل للأُمَمِ السَّابِقَةِ، التِيْ جَحَدَتْ[1] تَعَالِيْمَ الأَنْبِيَاءِ، فَكَانَ عَذَابُهُمْ شَدِيْدَاً.

يَقُوْلُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِيْ سُوْرَةِ يُوْسُفَ:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[2].

---

(١) جحدت: أنكرت.

(٢) سورة يوسف (٣).

وَقَال اللهُ تَعَالى فِيْ سُوْرَةِ هُوْدٍ:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

فَهَذِهِ القِصَصُ إِذاً لَيْسَتْ لمُجَرَّدِ القِرَاءَةِ أَوِ التِّلاوَةِ فَقَط ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ، وَإِنَّمَا هِيَ لتَقْوِيْمِ مَا اعْوَجَّ مِنْ أخلاقِ النَّاسِ وَإِصْلاحِ النُّفُوْسِ، إِنَّهَا للعِظَةِ وَالعِبْرَةِ، إِنَّهَا تَارِيْخُ أُمَمٍ وَشُعُوْبٍ وَأَفْرَادٍ، مَا أَجْدَرَنَا أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ هَذَا التَّارِيْخِ، وَأَنْ نَدْرُسَهُ دِرَاسَةَ المُفَكِّرِ العَاقِلِ وَالآنَ تَعَالَوْا إِلى قِصَّةِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ.

زَكَرِيَّا الشَّيْخُ الكَبِيْرُ

عَاشَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلاَمُ، سِنِينَ طَوِيْلَةً حَتَّى بَلغَ التِّسْعِيْنَ، مَرَّتْ بِهِ هَذِهِ السُّنُوْنَ كَئِيْبَةً حَزِيْنَةً، فَهَا هُوَ قَدِ اشْتَعَل رَأْسُهُ شَيْباً، وَلَمْ يَعُدْ يَقْوَى عَلى التَّنَقُّل وَالتَّرْحَال، يَجْلسُ وَحِيْداً مَعَ زَوْجَتِهِ العَاقِرِ(١)، يَقْضِيْ مُعْظَمَ وَقْتِهِ فِي التَّعَبُّدِ وَالتَّقربِ إلى اللهِ عَزَّ وَجَل، فَهُوَ يَذْهَبُ إلى الهَيْكَل يَقْضِيْ بِهِ جُلَّ نَهَارِهِ ليَعُوْدَ إلى مَنْزِلهِ بَعْدَ أَنْ تَتَوَارَى(٢) الشَّمْسُ، لِيَجِدَ زَوْجَتَهُ التِي وَهَنَ

---

(١) العاقر: المرأة التي لا تلد.

(٢) تتوارى: تختفي.

عَظْمُهَا، هِيَ الأخرَى، وَاشْتَعَل رَأْسُهَا شَيْبَاً، وَكَمْ كَانَ يَتَمَنَّى زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أنْ يَرْزُقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَل، وَلداً يَبْعَثُ فِي البَيْتِ الحَزِيْنِ السُّرُوْرَ وَالحُبُوْرَ، وَيُطْلِقُ الفَرَحَ وَالمَرَحَ، وَلكِنْ أنَّى لهُ ذَلكَ، وَقَدْ بَلغَ مِنَ الكِبَرِ عِتِيَّاً وَامْرَأتُهُ كَانَتْ عَاقِرَاً وَهِيَ الآنَ عَجُوْزٌ كَبِيْرَةٌ. يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيًّا﴾[1].

وَهَكَذَا عَاشَ زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ حَزِيْنَاً، كَاسِفَ البَال، قَليْل الأمَل وَالرَّجَاءِ، فَهَا هُوَ يَطْوِيْ أيَّامَهُ الأخِيْرَةَ، قَلِقَاً خَائِفَاً، لمَا سَيَحِلُّ بِقَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَمَنْ سَيَرِثُ حِكْمَتَهُ؟ وَمَنْ سَيَقُوْمُ بِأدَاءِ الأمَانَةِ التِيْ أوْدَعَها اللهُ فِيْ زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ؟ كُل هَذِهِ الوَسَاوِسِ وَالأفْكَارِ، كَانَتْ تَدُوْرُ فِيْ رَأسِهِ، لتَقُضَّ مَضْجَعَهُ وَتَحْرِمَهُ مِنَ النَّومِ، فَهُوَ يَخْشَى عَليْهِ السَّلاَمُ مِنْ أنْ يَخْلُوَ مَوَاليْهِ وَبَنُوْ عُمُوْمَتِهِ إلى نُفُوْسِهِمُ الشِّرِّيْرَةِ، فَيَعْمِدُوْنَ إلى هَدْمِ الشَّرِيْعَةِ التِيْ جَاءَ بِهَا، وَنَشْرِ الفَسَادِ وَالكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ.

وَلكِنَّ زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ، رَغْمَ حُزْنِهِ كَانَ صَابِرَاً، مُحْتَسِبَاً، مُتَوَكّلاً عَلى اللهِ عَزَّ وَجَل الذِيْ بِيَدِهِ مَلكُوْتُ كُل شَيْءٍ، يَرْزُقُ

---

(١) عتياً: من عتا: أي يبس بلغ نهاية السن. سورة مريم (٨).

هَذَا البَنَاتِ، وَيَرْزُقُ هَذَا الصِّبْيَانَ، وَيَرْزُقُ بَعْضَهُمُ البَنَاتِ وَالصِّبْيَانَ وَيَمْنَعُ عَنْ آخَرِيْنَ الوَلَدَ وَالخَلفَ، هَذِهِ هِيَ مَشِيْئَتُهُ عَزَّ وَجَل فِيْ خَلقِهِ، وَهَذَا هُوَ قَضَاؤُهُ وَقَدْ يَكُوْنُ فِيْ هَذَا كُلِّهِ حِكْمَةٌ يُرِيْدُهَا اللهُ عَزَّ وَجَل دُوْنَ أنْ نَعْلمَهَا.

كافِل مريمَ

هِيَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأمُّ النَّبِيِّ عِيسَى، وَمِنْ سُلالةِ دَاوُدَ عَليْهِمَا السَّلامُ، وَكَانَ زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ، نَبِيَّ ذَلكَ الزَّمَانِ، وزَوْجَ أخْتِ مَرْيَمَ العَذْرَاءِ. وَآلُ عِمْرَانَ اصْطَفَاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَل عَلى العَالمِيْنَ. يَقُوْل سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِيْ سُوْرَةِ آل عِمْرَانَ:

﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وَكَانَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ عَاقِرَاً لاتَلدُ، وَلمْ تُرْزَقْ بِوَلدٍ، الذِيْ طَالمَا تَمَنَّتْهُ لتَضُمَّهُ إلى صَدْرِهَا كَمَا تَفْعَل الأُمَّهَاتُ، وَكَانَتْ كُلَّمَا رَأتْ طَيْرَاً يُطْعِمُ فِرَاخَهُ، اشْتَهَتْ أنْ يَكُوْنَ لهَا وَلدٌ تُطْعِمُهُ وَتَعْتَنِيْ بِهِ، وَتَرْنُوْ إليْهِ، بِنَظَرِهَا، وَانْتَظَرَتْ سِنِيْنَ طَوِيْلةً، تَرَقُبُ هَذَا الأمَل وَتَرْجُو أنْ يَتَحَوَّل إلى حَقِيْقَةٍ، وَعِنْدَمَا أحَسَّتْ بِبُعْدِ

---

(١) سورة آل عمران (٣٣).

هَذَا الرَّجَاءِ، التَجأتْ إلى خَالِقِهَا، تَتَضَرَّعُ إليْهِ مُتَوَسِّلَةً بِخُضُوْعٍ وَخُشُوْعٍ، أنْ يَرْزُقَها وَلداً ذَكَراً، وَنَذَرتْ، إنْ حَقَّقَ اللهُ أُمْنِيَتَهَا، أنْ تَهَبَهُ إلى بَيْ المَقْدِسِ، لِيَكُوْنَ خَادِماً، عَلى عَادَةِ أهْل ذَلكَ الزَّمَانِ، إذْ كَانُوا يَنْذُرُوْنَ لبَيْتِ المَقْدِسِ خَادِماً مِنْ أوْلادِهِمْ.

أجَابَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى دُعَاءَهَا، وَلبَّى طَلبَهَا، وَحَقَّقَ أُمْنِيَتَهَا، وَهُوَ القَادِرُ عَلى كُل شَيْءٍ، هُوَ المُحْيِيْ وَالمُمِيْتُ، أوَليْسَ بِقَادِرٍ عَلى أنْ يَرْزُقَهَا بِطِفْلٍ؟ بَلى.

وَشَعَرَتْ أمُّ مَرْيَمَ بَالجَنِيْنِ يَتَحَرَّكُ فِيْ أحْشَائِهَا، فَأشْرَقَ وَجْهُهَا فَرَحاً وَسُرُوْراً، وَأحَسَّتْ بِالظَّلامِ الذِيْ كَانَتْ تَعِيْشُهُ، قَدْ تَحَوَّل إلى نَهَارٍ مُشْرِقٍ، وَارْتَسَمَتِ البَسْمَةُ عَلى شَفَتَيْهَا وَسُرَعَانَ مَا نَسِيَتْ أحْزَانَهَا وَمَا قَاسَتْ مِنْ عَذَابٍ وَألمٍ، وَبَعْدَ شُهُوْرٍ، هِيَ مُدَّةُ الحَمْلِ، وَضَعَتْ أمُّ مَرْيَمَ، وَلكِنَّ المَوْلودَ كَانَ أنْثَى، وَهِيَ التِيْ كَانَتْ تَرْجُوْ أنْ يَكُوْنَ ذَكَراً، لِتَهَبَهُ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، فَكَيْفَ تَفْعَل الآنَ، وَالمَوْلودُ أنْثَى، وَهُوَ لا يَصْلحُ أنْ يَكُوْنَ خَادِماً، فَحَزِنَتْ حُزْناً شَدِيْداً، وَسَمَّتْهَا مَرْيَمَ، وَطَلبَتْ إلى اللهِ أنْ يَحْفَظَهَا وَيَحْمِيَهَا، وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى رَحِمَهَا وَاسْتَجَابَ دُعَاءَهَا وَقَبِل نَذْرَهَا وَهِبَتَهَا. فَفَرِحَتْ فَرَحاً عَظِيْماً، ثُمَّ عَمَدَتْ إلى طِفْلتِها وَاحْتَضَنَتْهَا، وَحَمَلتْهَا لتَهَبَهَا إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، وَهُنَاكَ فِيْ بَيْتِ المَقْدِسِ، تَهَافَتَ عَليْهَا أهْلُ هَذَا البَيْتِ،

وَاخْتَلفُوا فِيْمَنْ يَكْفُلُهَا، كُل وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُرِيْدُ أنْ يَتَدبَّرَ شُؤوْنَهَا، وَيَقوْمَ إلى تَرْبِيَتِهَا وتَنْشِئَتِهَا. وَكَانَ زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ، مِنْ أكْثَرِهِمْ عَطْفاً وَحَنَاناً عَليْهَا، فَهُوَ زَوْجُ خَالَتِهَا، وَاشْتَدَّ الخِصَامُ، وَكَثُرَ الجِدَال، وَاحْتَدَمَ النِّزَاعُ بَيْنَ النَّاسِ، كُلٌّ يُرِيْدُ أنْ يَحْظَى بِهذَا الشَّرَفِ العَظِيْمِ. يَقُوْل سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِيْ سُوْرَةِ آل عِمْرَانَ:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1].

وَلجَأ القَوْمُ حِيْنَئِذٍ، إلى إجْرَاءِ القُرْعَةِ، وَتَوَجَّهُوا إلى نَهْرٍ ألقَوْا فِيْهِ أقْلامَهُمْ، فَمَنِ ارْتَفَعَ قَلَمُهُ فَازَ، وَمَنْ رَسَبَ قَلمُهُ خَسِرَ، فَارْتَفَعَ قَلمُ زَكَرِيَّا، وَرَسَبَتْ أقْلامُهُمْ فَانْصَاعُوا لرَأيِهِ وَسَلَّمُوا الفَتَاةَ إلى زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ، فتَكَفَّلهَا، وَصَارَ وَليَّ أمْرِهَا، فكَانَ يَتَرَدَّدُ عَليْهَا، وَيَرْعَاهَا، وَيُعْنَى بِرَاحَتِهَا، وَيُحَاوِل تَوْفِيْرَ أسْبَابِ السَّعَادَةِ وَالرَّفَاهِيَةِ يَقُوْل اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ

(١) سورة آل عمران (٣٥ / ٣٦).

عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾(١).

وَاتَّخَذَ لهَا زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ مُكَاناً شَرِيْفاً مِنَ المَسْجِدِ، لا يَدْخُلهُ سِوَاهَا، فَكَانَتْ تَعْبُدُ اللهَ وَتَقُوْمُ بِخِدْمَةِ البَيْتِ إِذَا جَاءَتْ نَوْبَتُها، فَكَانَ يُضْرَبُ بِهَا المَثَل فِيْ عِبَادَتِهَا فِيْ بَنِيْ إِسْرَائِيْل، وَكَانَ زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ، كُلَّمَا دَخَل عَليْهَا وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً غَرِيْباً فِيْ غَيْرِ أَوَانِهِ، فَكَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِيْ الشِّتَاءِ، وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِيْ الصَّيْفِ، وَكَانَ عَليْهِ السَّلاَمُ يَسْأَلهَا:

ـ أَنَّى لكِ هَذَا يَامَرْيَمُ؟ فَتُجِيْبُهُ مَرْيَمُ قَائِلةً:

ـ هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ إِليَّ، وَاللهُ عَزَّ وَجَل يَرْزُقُ مَنْ أَحَبَّهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

مولدُ يحيى

أَثَارَتْ هَذِهِ الفَتَاةُ التِيْ كَفَلهَا زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ، دَافِعَ الأُبُوَّةِ لدَيْهِ، وَحَرَّكَتْ فِيْهِ نَوَازِعَ الحَنِيْنِ لِوَلَدٍ يَرِثُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَلِطِفْلٍ يَبْعَثُ فِيْ بَيْتِهِ وَأَسْرَتِهِ السَّعَادَةَ وَالسُّرُوْرَ، وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ شَيْخَاً كَبِيْرَاً، قَدْ وَهَنَ(٢) عَظْمُهُ وَشَابَ شَعْرُهُ وَانْحَنَى ظَهْرُهُ، وَلمْ يَعُدْ

---

(١) سورة: آل عمران (٣٧).

(٢) وهَنَ: ضَعُفَ.

لهُ أمَلٌ فِيْ وَلدٍ، خَاصَّةً أَنَّ امْرَأتَهُ عَجُوزٌ عَاقِرٌ لا تَلِدُ، وَلكِنْ أليْسَ اللهُ عَزَّ وَجَل الذِيْ رَزَقَ مَرْيَمَ، رِزْقاً فِيْ غَيْرِ أوَانِهِ، بِقَادِرٍ عَلى أنْ يَهَبَهُ وَلداً، بَلى، هُوَ قَادِرٌ عَلى ذَلكَ.

فَلمَاذَا لا يَرْفَعُ صَوتَهُ بَالدُّعَاءِ إلى اللهِ عَزَّ وَجَل؟ وَيَبْتَهِل إليْهِ وَيَتَضَرَّعُ وَيَسْألهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلداً صَالحاً. وَيَمُدُّ زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ يَدَيْهِ مُتَوَسِّلاً قَائِلاً:

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[1].

وَيَسْتَجِيْبُ اللهُ عَزَّ وَجَل لدُعَاءِ زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِيْ المِحْرَابِ يُصَلِّيْ نَادَتْهُ المَلائِكَةُ:

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ[2] ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا[3] وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[4].

وَعِنْدَمَا سَمِعَ زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ، نِدَاءَ المَلائِكَةِ، دُهِشَ وَأخَذَتْهُ رِعْشَةٌ، وَأخَذَ يَسْأل نَفْسَهُ كَيْفَ يَكُوْنُ ذَلكَ؟ وَكَيْفَ

---

(١) الأنبياء الآية: ٨٩.

(٢) أي بأنَّ.

(٣) حصوراً: ممنوعاً من النساء وروي أنه عليه السلام لم يعمل خطيئة ولم يهم بها.

(٤) سورة آل عمران الآية: ٣٩.

يُرْزَقُ بِطِفْل وَهُوَ شَيْخٌ طَاعِنٌ فِي السِّنِّ، وَامْرَأَتُهُ عَجُوزٌ عَاقِرٌ لا تَلِدُ؟!!.

فَأَجَابَهُ اللهُ عَزَّ وَجَل عَلى لسَانِ المَلائِكَةِ:

أليْسَ اللهُ عَزَّ وَجَل، الذِيْ خَلقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ، بِقَادِرٍ عَلى أنْ يَرْزُقَكَ بِطِفْل تُسْعَدُ بِهِ فِي أوَاخِرِ أيَّامِكَ، يَقُوْل اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾[1].

ثُمَّ سَأل زَكَرِيَّا عَليْهِ السَّلاَمُ رَبَّهُ عَلامَةً، تَدُل عَلى أنَّ زَوْجَتَهُ سَوْفَ تُشْفَى مِنْ مَرَضِهَا، وَسَوْفَ تَلدُ هَذَا الغُلامَ، فَأَجَابَهُ اللهُ عَزَّ وَجَل:

إنَّ عَلامَةَ وَدَليْلَ ذَلِكَ، أنْ يَعْجِزَ لسَانُكَ عَنِ الكَلامِ ثَلاثَةَ أيَّامٍ، فَإِنْ أرَدْتَ الكَلامَ لا تَسْتَطِيْعُهُ إلا بِالإشَارَةِ أوِ الرَّمْزِ.

يَقُوْل سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِيْ سُوْرَةِ آل عِمْرَانَ:

---

(١) سورة مريم الآية /٨، ٩/.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً[(١)] قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا[(٢)] وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾[(٣)].

يحيى النبي

رُزِقَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلى الكِبَرِ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى، الذِيْ وَهَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَل الحِكْمَةَ وَالرَّشَادَ وَالسَّدَادَ، وَهُوَ صَبِيٌّ لمْ يَبْلغْ مَبْلغَ الرِّجَال بَعْدُ، يَقُوْل سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ[(٤)] بِقُوَّةٍ[(٥)] وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[(٦)].

وَكَانَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَحْمَةً للنَّاسِ وَصَدَقَةً، وَكَانَ تَقِيّاً وَرِعَاً مُتَعَبِّدَاً خَاشِعَاً للهِ، آنَاءَ الليْل وَأطْرَافَ النَّهَارِ، حَتَّى رُوِيَ أنَّهُ لمْ يَعْمَل خَطِيْئَةً، وَلمْ يَهُمَّ بِهَا، فَكَانَ طَاهِرَ الخُلقِ، بَعِيْدَاً عَنِ الرَّذَائِل وَالنَّقَائِصِ، مُطِيْعَاً للهِ عَزَّ وَجَل، مُمْتَثِلاً لأوَامِرِهِ مُبْتَعِداً عَنْ نَوَاهِيْهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَارَّا بِوَالِدَيْهِ، مُطِيْعَاً لَهُمَا،

---

(١) آية: أي علامة على حمل امرأتي.

(٢) رمزاً: إشارة.

(٣) سورة آل عمران (٤١).

(٤) الكتاب: أي التوراة.

(٥) بقوة: بجدٍ.

(٦) سورة مريم (١٢).

وَمُحْسناً إِلَيْهِمَا، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْه السَّلاَمُ مُتَكَبِّراً أَوْ عَاصِياً لِرَبِّهِ، يَقُوْل اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِيْ سُوْرَةِ مَرْيَمَ، دَالاًّ عَلى فَضْل يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَصِفَاتِه الحَسَنَةِ:

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[1].

ثُمَّ يُرْسِل إِلَيْهِ اللهُ عَزَّ وَجَل السَّلامَ، فِيْ تِلْكَ الأَوْقَاتِ، أَوِ الأَيَّامِ العَصِيْبَةِ مِنْ حَيَاةِ الإنْسَانِ، فَفِي اليَوْمِ الأَوَّل، يَوْمَ يُوْلَدُ الأنْسَانُ، يَنْتَقِلُ مِنْ عَالمٍ إلى عَالمٍ آخَرَ، وَلِهَذَا يَسْتَهِلُّ الإنْسَانُ حَيَاتَهُ الدُّنْيَا بِالبُكَاءِ لِيَعِيْشَ بَعْدَ ذَلِكَ هُمُومَ الحَيَاةِ وَأَحْزَانَهَا ثُمَّ مَا يَفْتأُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ، إلى عَالمٍ جَدِيْدٍ يُسَمَّى عَالمَ البَرْزَخِ[2]، لِيَنْتَظِرَ يَوْماً آخَرَ هُوَ أَشَدُّ وَأَقْسَى مِنَ الأَيَّامِ السَّالِفَةِ، حَيْثُ يُبْعَثُ مَنْ فِي القُبُوْرِ، فَمِنْ مَسْرُوْرٍ وَمَحْبُوْرٍ وَمِنْ مَحْزُوْنٍ وَمَثْبُوْرٍ، فَفَرِيْقٌ فِي الجَنَّةِ، وَفَرِيْقٌ فِي السَّعِيْرِ.

يَقُوْل اللهُ عَزَّ وَجَل فِيْ سُورةِ مَرْيَمَ:

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[3].

---

(١) سورة مريم (١٣، ١٤).

(٢) عالم البَرْزَخِ: حياته في القبر.

(٣) سورة مريم (١٥).

نهايةُ زكريا ويحيى عليهما السلام

اخْتَلَفَ الرُّوَاةُ فِيْ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلامُ. هَل مَاتَ مَوْتَاً أوْقُتِلَ قَتْلاً؟ وَرَوَوْا فِيْ ذَلكَ رِوَايَاتٍ عَدِيْدَةً، وَاللهُ أعْلَمُ.

أمَّا يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَدْ أجْمَعَ الرُّوَاةُ عَلى أنَّه قُتِل قَتْلاً لكِنَّهُمْ اخْتَلفُوا فِيْ سَبَبِ قَتْلهِ، وَلكِنَّ أقْرَبَ الرِّوَايَاتِ إلى الحَقِيْقَةِ، تِلكَ الرِّوَايَةُ التِيْ تَزْعُمُ أنَّ (هِيْرُوْدُوْسَ) حَاكِمَ فِلَسْطِيْنَ، قَدْ أحَبَّ (هِيْرُودْيَا) بِنْتَ أخِيْهِ، وَأنَّه قَدْ عَزَمَ عَلى الزَّوَاجِ مِنْهَا، فَقَدْ كَانَتْ بَارِعَةَ الجَمَال، حَسَنَةَ القَدِّ وَالقَوَام، وَعِنْدَمَا سَمِعَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ، بِهَذَا النَّبَأ اسْتَنْكَرَهُ اسْتِنْكَاراً عَظِيْمَاً، فَكَيْفَ يَتَزَوَّجُ رَجُلٌ مِنِ ابْنَةِ أخِيْهِ؟! وَأعْلنَ أنَّ هَذَا الزَّوَاجَ، بَاطِلٌ لا تَعْتَرِفُ بِهِ شَرِيْعَةٌ، وَتَرْفُضُهُ رُوْحُ التَّوْرَاةِ، وَانْتَشَرَ رَأيُهُ فِيْ أوْسَاطِ النَّاسِ، وَعَلِمَتْ بِهِ (هِيْرُودْيَا) فَحَقَدَتْ عَلى يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَأضْمَرَتْ لهُ الشَّرَّ وَالمَكِيْدَةَ، ثُمَّ إنَّهَا خَافَتْ أنْ يَفْشَلَ زَوَاجُهَا، فَلجَأتْ إلى الحِيْلةِ وَالدَّهَاءِ وَالمَكْرِ، فَتَجَمَّلتْ وَتَزَيَّنَتْ وَلبِسَتْ أجْمَلَ ثِيَابِهَا وَأكْثَرَهَا إثَارَةً للفِتْنَةِ، وَدَخَلتْ عَلى عَمِّهَا، مُضِيْئَةً، جَمِيْلةً، فَاتِنَةً، فَوَقَعَ عَمُّهَا فِيْ حَبَائِل فِتْنَتِهَا وَأخَذَتْهُ بِعُذُوْبَةِ كَلامِهَا، ثُمَّ سَألهَا أنْ تَطْلُبَ مَاتَشْتَهِيْ نَفْسُهَا فَقَالتْ:

- إنْ شَاءَ المَلِكُ، فَلسْتُ أُرِيْدُ سِوَى رَأسِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا.

فَأجَابَهَا المَلِكُ لطَلَبِهَا، وَأرْسَل مَنْ يَأتِيْهِ بِرأسِ يَحْيَى عَليْهِ السَّلامُ فَشَفَتْ غِلَّهَا وَأطْفَأتْ نَارَ حِقْدِهَا، وَلكِنَّهَا جلبَتْ عَليْهَا وَعَلى قَوْمِهَا لعْنَةَ اللهِ عَزَّ وَجَل.

فضلهما عليهما السلام

خَرَجَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ، عَلى أصْحَابِهِ يَوْماً، وَهُمْ يَتَذَاكَرُوْنَ فَضْل الأنْبِيَاءِ، فَقَال قَائِلٌ: مُوْسَى كَلِيْمُ اللهِ. وَقَال قَائِلٌ عِيسَى رُوْحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ. وَقَال قَائِلٌ: إبْرَاهِيْمُ خَليْلُ اللهِ، فَقَال النَّبِيُّ ﷺ:

أيْنَ الشَّهِيْدُ بْنُ الشَّهِيْدِ، يَلْبَسُ الوَبَرَ وَيَأكُل الشَّجَرَ مَخَافَةَ الذَّنْبِ.

وَفِيْ حَدِيثٍ آخَرَ أنَّ النَّبِيَّ، ﷺ قَال: كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأتِيْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلهُ ذَنْبٌ إلا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا.

وَقَال النَّبِيُّ ﷺ:

إنَّ اللهَ أمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلمَاتٍ أنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وَأنْ يَأمُرَ بَنِيْ إسْرَائِيْل أنْ يَعْمَلوا بِهِنَّ، وَكَادَ أنْ يُبَطِّىءَ فَقَال لهُ عِيسَى عَليْهِ السَّلامُ: إنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلمَاتٍ أنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وَتَأمُرَ

بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ أَنْ يَعْمَلوا بِهِنَّ فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وَإِمَّا أَنْ أبلغَهُنَّ. فَقَال: يَا أَخِيْ إِنِيْ أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِيْ. قَال: فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِيْ إِسْرَائِيْل فِي بَيْتِ المَقْدِسِ حَتَّى امْتَلأَ المَسْجِدُ فَقَعَدَ عَلى الشَّرَفِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَال: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل أَمَرَنِيْ بِخَمْسِ كَلمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلوا بِهِنَّ. وَأَوَّلهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً... وَآمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ.... وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَام... وَآمُرُكُمْ بِالصِّدْقِ... وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيْرَاً...

* * * * *